IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثاني عشر – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 215 - 229)
15 – كانون الثاني – 2022م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[القراءات والمستشرقون]

[الباحث الدكتور: الشيخ محمد العاقب الطالب معزوز]

الملخص:

يتناول هذا المقال شبهات وشكوك المستشرقين وأتباعهم المتعلقة بالقراءات القرآنية.

وحاصله أن الدراسات الاستشراقية افتقرت إلى العمق العلمي، سيطرت عليها السطحية والجهل بمبادئ البحث في العلوم المتعلقة بقراءات القرآن، كما أنها تظهر تأثير خلفياتهم العدائية ضد الإسلام.
يصور المستشرقون أيضًا بعض الآراء الشاذة أو الضعيفةسندا، على أنها المثل الأعلى للإسلام، وينسبونها إلى هذا الدين العظيم.
لقد جعل المستشرقون الذين جاءوا بعد جولد زيهرمعتمدهم وسلطتهم في إثارة هذه الاضطرابات والشبهات.

Abstract:

This article examines the suspicions and doubts of Orientalists and their followers regarding Qur'anic readings(modes of recitation).

As result, we can say that orientalist studies lacked scientific depth, and were dominated by superficiality and ignorance of the research principles in the sciences related to Qur'anic Readings.They also show the effect of their hostile backgrounds against Islam.

Furthermore, orientalists portray some anomalous or weak opinions in terms of "SANAD"(the Transmission Chain),as the ideal of Islam, and they attribute it to this great religion.

The Orientalists who came after Goldziher made him their support and authority in raising such disturbances and suspicions.

المقدمة:

الحمد لله حمدا كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي أرسله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، وعلى آله و+صحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد، فإن القرآن الكريم هو كتاب ختم الله به الكُتب، وأرسله إلى رسول ختم به الرسل، بدين شامل مخلد، ختم به الأديان؛ فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، وهو برهان الرسول وآياته الكبرى، يقوم في الناس شاهدًا برسالته، ناطقًا بنبوّته، دليلًا على صدقه وأمانته، وهو ملاذ الدين الأعلى يستند الإسلام إليه في عقائده وعبادته، وحكمه وأحكامه، وآدابه وأخلاقه، وقصصه ومواعظه، وعلومه ومعارفه، وهو عماد لغة العرب الأسمى، تدين له اللغة في بقائها وسلامتها، وتستمد علومها منه على تنوّعها وكثرتها، وتفوق سائر

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثاني عشر – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 215 - 229) 15 – كانون الثاني – 2022م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

اللغات العالية به في أساليبها ومادتها، وهو أولًا وآخرًا القوة المحولة التي غيَّرت صورة العالم، ونقلت حدود المالك، وحولت مجرى التاريخ، وأنقذت الإنسانية العاثرة؛ فكأنما خلقت الوجود خلقًا جديدًا، لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، ومن سلف الأمة وخلفها جميعًا إلى يومنا هذا، وسيبقى هذا الاهتمام الكبير بكتاب الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذا، وقد بدا هذا الاهتمام الكبير لدى المسلمين في أشكال مختلفة، فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثةً إلى كتابته ورسمه، ورابعًا إلى تفسيره وشَرْحه إلى غير ذلك، ولقد أفرد العلماء كل ناحية من هذه النواحي بالبحث والتأليف، ووضعوا من أجلها العلوم، ودوَّنوا الكتب وتباروا في هذا الميدان الواسع أشواطًا بعيدة؛ حتى زخرت المكتبة الإسلامية بتراث مجيد من آثار سلفنا الصالح وعلمائنا الأعلام.

لكن هذا الاهتمام المتميز للمسلمين تجاه كتاب ربهم وما أحاطوه من عناية، لم يرق كثيرا من الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، ولهذا ما برح أعداء الإسلام - قديمًا وحديثًا - يتربصون بهذا الدين الدوائر، ويحاولون - ما وسعهم - الطعن به، والتشكيك فيه. لكن، هناك من لهم بالمرصاد، إذ دأب علماء هذه الأمة - المتقدمين منهم والمتأخرين - على التصدي لهذه المحاولات التشكيكية، والرد عليها، والكشف عن زيفها وزيغها، والإبانة عن حقيقتها وغايتها، مستشهدين في ذلك بقوله سبحانه وتعالى: { وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } [التوبة:32]

وقد جاء هذا العرض المتواضع لينظر في جانب من جوانب هجوم المستشرقين على ديننا الإسلامي، ويتمثل في موضوع " القراءات القرآنية والمستشرقين".

المبحث الأول: تعريف القراءات والاستشراق

المطلب الأول: تعريف القراءات لغةً واصطلاحًا

أولاً: تعريف القراءة لغةً:

القراءات جمع قراءةٍ، وهي مصدر الفعل قرأ، يقال: قرأ، يقرأ، قراءةً, وقرآنًا بمعنى تلا فهو قارئٌ,[1] "وقرأ الكتاب قراءةً، وقرآنًا، تتبع كلماته نظرًا ونطق بها، وتتبع كلماته ولم ينطق بها".[2]

قال ابن منظور: "ومعنى القرآن معنى الجمع، وسُمِّيَ قرآنًا لأنَّه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) القيامة(17) أي: جمعه وقراءَتَه، (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي قراءته. قال ابن عباس رضي الله عنهما: فإذا بيناه لك بالقراءة، فاعمل بما بيناه لك... وقَرَأْتُ الشيء قرءانًا: جمعتُه وضَمَمْتُ بعضَه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قَرَأَتْ هذه الناقةُ سلىً قط، وما قرأت جنينًا قط، أي: لم يَضطمَّ رَحمُها على ولدٍ".[3]

ثانيًا: تعريف القراءات اصطلاحًا:

عند الحديث عن تعريف القراءات لدى أهل الشأن نجد عدة تعريفاتٍ، ومن أبرزها هذه التعاريف:

[1]. انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي ص47.
[2]. المعجم الوسيط للدكتور إبراهيم أنيس أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، وآخرين 722/2.
[3]. لسان العرب للجمال الدين ابن منظور جزء1 ص128.

1. قال ابن الجزري: "القراءات علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة".[4]
2. وقال بدر الدين الزركشي: "القرآن هو الوحي المنزَّل على محمدٍ ρ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها, من تخفيفٍ وتثقيلٍ وغيرهما".[5]
3. ويرى أحمد بن عبد الغني الدمياطي أن علم القراءات هو: "علمٌ يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات، والتجريد والتسكين، والفصل، والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال، وغيره من حيث السماع".[6]
4. أما عبد العظيم الزرقاني فيعرفها بقوله: "القراءات مذهبٌ يذهب إليه إمامٌ من أئمة القراء مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات، والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في هيئاتها".[7]
5. وقال عبد الفتاح القاضي: "هو علمٌ يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا، مع عزو كل وجه إلى ناقله".[8]

وبالنظر في التعريفات السابقة يظهر أنها تدور حول محور واحد وأنَّ تعريف الإمام ابن

الجزري من أخصر وأجمع وأضبط التعريفات في القراءات، حيث يقول بعد هذا التعريف: " والمقرئ العالم بها رواها مشافهةً فلو حفظ التيسير مثلاً ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه ممن شوفه به مسلسلاً لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة".[9]ومن خلال ما سبق يتضح ما يلي:

1. أنّ مدلول القراءات يشمل ألفاظ القرآن المتفق عليها والمختلف فيها.
2. أنَّ المعتمد في تلقي القراءات هو السماع والمشافهة عمَّن أخذها سماعًا ومشافهةً عن شيوخه, مسلسلاً إلى النبي ρ.

المطلب الثاني: تعريف الاستشراق

أولا: الاستشراق لغة:

عند النظر إلى لفظة "استشراق" نجد أنها مصوغة على وزن استفعال، ولوجدناها مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه وجاء في "المعجم الوسيط" "شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت"[10] وفي لسان العرب: شرق: "شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقاً: طلعت، واسم الموضع: المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرّق ومغرّب، وشّرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق، وفي الحديث: " لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شّرقوا أو غّربوا"[11].

أما في اللغات الأوروبية فثمة تعريف آخر يدل على أن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية. ويرى البعض أن كلمة استشراق لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي وإنما

[4]. منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري ص9.
[5]. البرهان في علوم القرآن للزركشي ج1 ص318.
[6]. إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ص6.
[7]. مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج1 ص405.
[8]. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي ص51.
[9]. منجد المقرئين لابن الجزري ص3.
[10] المعجم الوسيط: ج1، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص482.
[11] متفق عليه: رواه البخاري، باب قبلة أهل المدينة وأهل الشام والمشرق رقم394، ومسلم باب الاستطابة رقم 264.

تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء[12].

واللفظ ORIENT في الدراسات الأوروبية يشير إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية بكلمة " تتميز بطابع معنوي وهو: Morgenland وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة، وفي مقابل ذلك نستخدم في اللغة كلمة Abendland وتعني بلاد المساء لتدل على الظلام والراحة"[13].

وفي اللاتينية تعني كلمة Orient: يتعلم أو يبحث عن شيء ما، وبالفرنسية تعنى كلمة Orienteer وجّه أو هدى أو أرشد، وبالإنجليزية Orientation، وorientate تعني "توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي. وبذلك يتبين أن مصطلح الاستشراق ليس مستمداً من المدلول اللغوي، بل من المدلول المعنوي لشروق الشمس التي هي مصدر العلم[14].

ثانيا: الاستشراق اصطلاحا:

إن مفهوم الاستشراق (orientalism) يعني: "علم الشرق أو علم العالم الشرقي" وعّرف البعض الاستشراق أيضاً بأنه: "ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته" وأحياناً يقصد به: "أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرقي والأيدلوجي بين الشرق والغرب". ومرة يراد به: "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب"[15].

ويرى الطيب بن إبراهيم أن الاستشراق لا يعتبر تاريخاً أو جغرافيا فقط، ولا إنسانيا أو ثقافة فحسب، وإنما هو مجموع ذلك كله، فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة. والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطاً عضوياً وتكاملياً مع هذه العناصر الأربعة الأساسية، إذ لا بد له من مسافة زمنية ومساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري ويرى أن الشرق الذي اهتم الغرب بدراسته والتخصص في ثقافته وتراثه، ليس هو الشرق الجغرافي الطبيعي، وإنما هو "الشرق الهوية" وهو محور ما استهدفه علم الاستشراق ومصدر العناية والاهتمام، فهدف الاستشراق هو معرفة "الشرق الهوية والتاريخ" المتمثل في الإسلام والمسلمين.

وبصفة عامة يمكن تعريف الاستشراق بأنه: "أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي، ومعرفي بين الشرق والغرب، ويستخدم دراسات أكاديمية يقوم بها علماء غربيين للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخ ونظم وثروات وإمكانات، سواء أكانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض أم الجانب الجنوبي منه، وسواء أكانت لغة هذه الشعوب العربية أم غير العربية "كالتركية والفارسية والأوردية" وغيرها من اللغات، لأهداف متنوعة ومقاصد مختلفة".

[12] الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، السيد محمد الشاهد ع 22، السنة السادسة، 1994م، ص 191-211.
[13] الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مازن بن صلاح مطبقاني، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1995.
[14] الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد الأمين المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997، ص16.
[15] نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج، ج1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص20.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثاني عشر – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 215 - 229) 15 – كانون الثاني – 2022م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

ومع أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الأوروبية المختلفة، لكن الأمر المتيقن أن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير، ولعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق، فنجد آربري في بحث له في هذا الموضوع يقول "والمدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة 1638 وفي سنة 1691 وصف آنتوني وود صمويل كلارك بأنه (استشراقي نابه) يعنى ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية. وبيرون في تعليقاته على (Childe Harold's Pilgrimage) يتحدث عن المستر ثورنتون وإلماعاته الكثيرة الدالة على استشراق عميق.

ويرى رودي بارت أن الاستشراق هو "علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق مشتقة من كلمة 'شرق' وكلمة شرق تعني مشرق الشمس[16]

أما المفكر إدوارد سعيد فيعرف الاستشراق بأنه:" نمط من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه "[17] ويرى د. رضوان السيد " ان الاستشراق يتناثر ويدخل في تخصصات متباينة كالتاريخ والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا والاقتصاد والسياسة، ولم يعد هناك عالم واحد اسمه الاستشراق، بل هناك عوالم متباينة يحمل كل منها عنوان المجال الذي يهتم به، فإذا كانت مفاهيم الشرق والعالم الثالث والشرق الاوسط متباينة وغير علمية، فان مفهوم الاستشراق صار اليوم كذلك.

أما المستشرق فهو: "عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه[18].

ويذكر المستشرق رودنسون أن كلمة مستشرق ظهرت في اللغة الإنجليزية نحو عام 1779م كما دخلت كلمة الاستشراق معجم الأكاديمية الفرنسية في عام 1838م وفيها تجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق.[19] ويعتمد المستشرق الإنجليزي آربري على قاموس اكسفورد الجديد المستشرق بأنه "من تبحر في لغات الشرق وآدابه".

ويرى كثير من الباحثين أن جيرار دي أورلياك الفرنسي هو أول من استشرق. أما الدكتور شكري النجار فيعرف المستشرق قائلا: "تطلق كلمة مستشرق بشيء من التجاوز على كل من يتخصص في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو بعيد"[20]. ويرى مالك بن نبي في مقال له تحت عنوان إنتاج المستشرقين يحدد مصطلح الاستشراق فيقول: "إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية"[24] وأن صفة مستشرق ينبغي أن تقتصر علي من ليس شرقيّاً، لأنها تصف حالة طلب لشيء غير متوفر في البيئة التي نشأ فيها الطالب.

[16] رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه). ترجمة مصطفى ماهر (القاهرة: دار الكتاب العربي)، ص 11.
[17] إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة السابعة، 2005، ص 120.
[18] يحيى مراد: أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت 2004، ص6.
[19] مكسيم رودنسون: صورة العالم الإسلامي في أوربا، دار الطليعة، 1970، ص 74.
[20] محمد عوني عبدالرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي، المجلس الأعلي للثقافة 2004، ص3.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثاني عشر – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 215 - 229) 15 – كانون الثاني – 2022م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

المبحث الثاني: دوافع الاستشراق

1_الدافع الديني:

هذا الدافع لا يحتاج منا إلى عناء وجهد لنتعرف عليه، فقد بدأ مع الرهبان،لأن هؤلاء كان همهم الوحيد هو الطعن في الإسلام وتشويه محاسنه باعتباره الخصم الوحيد للمسيحية،وأن هذا الدين لا يستحق الانتشار، وأتباعه قوم همج ولصوص وسفاكو دماء يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي .

ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة،وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا،بعث ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكره لأهله، فاستغلوا هذا النفسي، وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية .

وهنالك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراستهم العلمية،وهم قبل كل شيء رجال دين،فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين،لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية،والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.

2_ الدافع الاستعماري

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية،لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام،فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات،ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموه، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث،وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا، ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية، وبذلك يتم لهم مل يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة.

أنظر إليهم كيف يشجعون في بلادنا القوميات التاريخية التي عفا عليها الزمن، واندثرت منذ حمل العرب رسالة الإسلام،فتوحدت لغتهم وعقيدتهم وبلادهم، وحملوا هذه الرسالة إلى العالم فأقاموا بينهم وبين الشعوب روابط إنسانية وتاريخية وثقافية ازدادوا بها قوة، وازدادت الشعوب بها رفعة وهداية، إنهم ما برحوا منذ نصف قرن يحاولون إحياء الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا ولبنان وفلسطين، والآشورية في العراق وهكذا،ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة، وليعوقوا قوة الاندفاع التحررية عن عملها في قوتنا وتحررنا وسيادتنا على أرضنا وثرواتنا وعودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة، والتقائنا مع إخوتنا في العقيدة والمثل العليا والتاريخ المشترك والمصالح المشتركة .

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثاني عشر – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 215 - 229) 15 – كانون الثاني – 2022م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

3_ الدافع التجاري

يعتبر من الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق ، حيث تمثل في رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين.

4_ الدافع السياسي

لما استقلت أكثر الدول العربية والإسلامية، أصبح هذا الدافع يتجلى في عصرنا الحاضر في السفارات الغربية داخل البلاد الإسلامية، حيث إن لكل دولة من الدول الغربية سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية، ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثيرا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول الإسلامية،بحجة توجيه النصح وإسداء المعونة بعد أن درسوا نفسية كثيرين من المسؤولين في تلك البلاد، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم .

5_الدافع العلمي

إن المستشرقين الذين كان يدفعهم هذا الدافع هم فئة قليلة، حيث أقبلوا بدافع من حب الاطلاع على حضارة الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته.

على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد الملية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى، لا تلقى رواجا، لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، ومن ثمة فهي لا تدر عليهم ربحا ولا مالا، ولهذا نذر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين.[21]

المبحث الثالث: بعض شبه المستشرقين حول القراءات القرآنية

الشبهة الأولى: مقارنة مصاحف الصحابة بمصحف عثمان

اعتمد نول دكه وتلاميذه ومن تبعه أسلوب المقارنات، وهي مقارنات اعتباطية لكونها تتم بين أطراف غير متجانسة، يقارنون الإسلام بالمسيحية واليهودية، والقرآن بالتوراة والإنجيل، واللغة العربية بالعبرية والآرامية وغيرها، كما يقارنون بين كتب القراءات القريبة والبعيدة في الزمن، وبين الأعلام وإن تباينوا، وبين القراءات وإن اختلفت.
هذا النوع من المقارنات هو سمة كتاب تيودور نول دكه (تاريخ القرآن)، ومن المقارنات التي اعتمدها وسعى إلى بحثها المقارنة بين مصحف عبد الله بن مسعود الذي أطلق عليه " نص ابن مسعود[22]"، ومصحف أُبَي بن كعب الذي أطلق عليه " نص أُبَي [23] "ومصحف عثمان بن عفان الذي أطلق عليه هو الآخر "نص عثمان. "
بدأت المقارنة أولا بين نص ابن مسعود ونص أُبي بن كعب، أفضت إلى إصدار أحكام غير مرضية علميا، نتأمل

[21] الاستشراق والمستشرقون _السباعي_ 18_23 الطبعة الرابعة 2013 دار السلام مصر القاهرة
[22] كتاب المصاحف لابن أبي داود – التقديم- ص4 ، تحقيق المستشرق الأمريكي آرثر جيفري
[23] المصدر السابق 3/523-541

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثاني عشر – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 215 - 229) 15 – كانون الثاني – 2022م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

هذه المقارنة التي يقول فيها برتزل ما يلي: (تعود أسباب هذا الاختلاف في صفة الرواية لابن مسعود ولأُبي إلى اختلاف الظروف الخارجية للتأثير الذي مارسه كلا النصين، فكما يشير إليه التأرجح حول سنة وفاته لم يلعب أُبي بعد وفاة محمد أي دور مرموق، وسواء بسبب موته المبكر أو لأسباب أخرى فقد أُزيح عن المسرح السياسي، وانتشر نصه القرآني على الصعيد الشخصي فقط ، أما ابن مسعود فكان واليا على الكوفة، وكان يملك بالتالي إمكانية استطاع استغلالها بنجاح لإيجاد اعتراف رسمي بقرآنه، ويبدو أيضا أن مصير نسختي القرآن، أي نسخة ابن مسعود ونسخة أبي كان متغايرا، فقد اختفت نسخة أُبي باكرا وربما لم تنسخ أبدا، أما نسخ ابن مسعود فأخذ عنها لمدة طويلة .[24]

أما المقارنة بين نص ابن مسعود ونص عثمان رضي الله عنهم أجمعين فقد ساق فيه كلام غولد سيهر معتمدا على استنتاجاته في الموضوع، يقول، (عالج غولد سيهر كتابات ابن مسعود وقراءاته وكافة قراءات القرآن من منظور الاختلاف عن نص القرآن الحقيقي ، وتوجد في الواقع حالات كثيرة في الكتابات والقراءات المنسوبة لابن مسعود غير فيها النص العثماني خطأ، أو على الأقل يظهر فيها دافع للاختلاف عن النص العثماني، أي أن نص ابن مسعود يصبح نصا ثانويا، والدوافع الأهم، وإن لم تكن الأقوى، تشمل ما أبرزه غولد تسيهر من إزالة المخالفات من حيث المحتوى أو الإيضاح الموضوعي أو التوضيح اللغوي للنص.[25]("..."
تضمنت هذه المقارنات كلاما يستوقف، كلام عام وغير محدد ، وأحكام مطلقة وغير مقيدة، واستنتاجات بعيدة عن العلم والمعرفة، وأقوال غير صحيحة ولا تتطابق مع حقائق التاريخ والواقع .
لقد تَمَّ التوقف كثيرا عند نص ابن مسعود ، وترتب عن هذه المقارنة استخلاص الاختلافات الموجودة بين المصاحف ، وقد ترتب عن هذه الاختلافات وجود اختلافات في القراءة ، وهو استنتاج بعيد ، ذلك أن مصاحف الصحابة لم تكن كاملة ومهذبة لأنها لم تكن خاصة بالقرآن وحده بل كانوا يكتبون إلى جنب القرآن الحديث والفقه والتفسير، لذلك بادر الخليفة عثمان رضي الله بجمع الصحابة على مصحف إمام جرد خطه من النقط والشكل ليحتمل ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي صلى الله عليه مسلم، ولم يكن الاختلاف راجعا لمصحف عثمان ولا لمصاحف الصحابة وإنما هو راجع إلى ما حفظ في الصدور، والتعويل في اختلاف القراءات المسندة المشهورة الصحيحة على الحفظ لا على مجرد الخط.
أما الاختلاف بين القراءات الصحيحة المتواترة والتي تلقتها الأمة بالقبول فهو من نوع الاختلاف الطبيعي، الاختلاف الذي يدخل في مجال التيسير على العباد"، هذه الأمور كلها لا تعني عند نول دكه ومن تبعه شيئا .[26]
إن الاهتمام بمصحف ابن مسعود وأُبي بن كعب ساد فيها نوع من التكلف، ونوع من الإفراط في المعالجة والكلام ظنا منهم أن عثمان بصفته خليفة المسلمين أقصى وجودهما من الاعتبار مبقيا على مصحفه الذي لا يخلو هو أيضا من الغمز والطعن، والغرض البعيد القريب هو التشكيك في مصحف عثمان نفسه، وزرع بذور الريبة في الموروث العقدي للأمة كما لو أن الأمة الإسلامية لا تملك معايير الصواب والخطأ، فاختفاء مصحف ابن مسعود ومصحف أبي كان خطأ، ووجود مصحف عثمان بن عفان كان خطأ أيضا، والعودة إلى اعتماد المصحفين المختفيين هو الصواب، وهجران مصحف عثمان هو الصواب في المقابل، يقول برتزل: (إن المراجع الكوفية تقودنا إلى مكان وزمان حيث لا تزال القراءة المتصلة والمنسوبة لابن مسعود تتصف بالحيوية وبالذكرى الحية[27] .

[24] المصدر السابق 3/537-538
[25] المصدر السابق 3/518
[26] المصدر السابق 1/47-48
[27] المصدر السابق 3/522

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثاني عشر – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 215 - 229) 15 – كانون الثاني – 2022م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

الشبهة الثانية: حول أسباب اختلاف القراءات:

يقول جولد زيهر : (ترجع أسبابها . اختلاف القرآت . إلى الخوف من أن تنسب إلى الله ورسوله عبارات يلاحظ فيها بعض أصحاب وجوه النظر الخاصة ما يمس الذات الإلهية العالية أو الرسول أو مما يرى أنه غير لائق بهذا المقام ، وهنا قد يترك النص المشهور ويؤتى بقراءة جديدة بدافع تنزيه الله عما لا يليق[28])

ومثل لذلك بقول الله عز وجل { شهد الله أنه لا إله إلا هو ...}

يرى أن القراءة الثانية :{شهداء الله ...} ما هي إلا استبدال التعبير بالجمع عن التعبير بالفعل في القراءة الأولى " شهد الله "لما تثيره شهادة الله لنفسه وكيف يشهد لنفسه ؟ أما عبارة الجمع يكون المعنى فيها أن الصابرين والصادقين ...هم من يشهد بذلك.

هذا كله من أجل ان يثبت أن القراءات القرآنية هي اجتهادات من القراء وليست نقلا ولا رواية متواترة مما يدل على اعتماد هوى النفس في المسائل العلمية الأمر الذي لا يقبله عاقل كما يدل هذا على الحقد الدفين لدى أمثال هذا الرجل.

هذه مجرد فرية لا أصل لها ولا سند غير الهوى ودافع النيل من القرآن ومن الدين الإسلامي عموما قال بهاء الدين حسين في سياق رده على هذه الشبهة :(فلو كانت القراءة الثانية التي ذكرها جولد زيهر "شهداء الله" مبنية على ضرورة التعديل في القراءة الأولى "شهد الله"لغرض التنزيه على حد تعبيره لوجب على العلماء أن يسلكوا المسلك نفسه في الآيات القرآنية الموهمة للمشابهة، فيغيرونها، لأن ظاهرها عدم التنزيه ولما لم يفعلوا ذلك تبين أن ليس هناك ما يسمى بتعديل للتنزيه في القراءة، فلا بداء ولا اختيار بالهوى، ولا محض الرأي في القراءات، كما يوحي به خيال جولد زيهر ، بل أمرها قائم على النقل والرواية الصحيحة؛ أما القراءة الثانية (شهداء الله) التي اقتضتها ضرورة التنزيه على حد تعبير جولد زيهر فهي قراة شاذة لا يثبت بها القرآن ومن ثم فهي لا تصلح لمثل هذا الاحتجاج.)[29]

لذلك محل الإشكال في دراسة جولد زيهر لهذا الموضوع هو في منهجه بحيث لم يفرق بين القراءة المتواترة الصحيحة والشاذة المردودة بل حتى المنكرة، له مقياس واحد في التعامل مع النص، وهذا ما بينه الدكتور بهاء الدين حسين بقوله (هكذا يبدو لنا أن أكبر خطأ في المنهج الذي درج عليه جولد زيهر في دراسته وبحته عن القراءات القرآنية هو جعله القراءات كلها على قدم المساواة، وإعراضه عن قبول أن هناك قراءات شاذة وقراءات ضعيفة أخرى مردودة، في حين أن علماء القراءات المسلمين اتخذوا في دراساتهم منهجا علميا دقيقا قائما على أساس أن هذه القراءات ليست في درجة واحدة فميزوا . بعد بحث ودراسة وتتبع للأسانيد . صحيح القراءات وشاذها، ومتوترها من آحادها...)[30]

وقد قام المستشرق آثر جفري بوضع مقدمة لكتاب المصاحف الذي ألفه ابن أبي داود السجستاني ابن الإمام أبي داود المحدث المشهور صاحب السنن، و من المسائل التي ذكرها آثر جفري في مقدمته تلك، مسألة خلو مصحف عثمان من النقط و الشكل و أن ذلك هو أحد الأسباب في تعدد القراءات القرآنية، و ذلك كنقطة خامسة في مقدمته، و هذا نص كلامه:" خلو مصحف عثمان من النقط و الشكل: وجد القراء في المصاحف التي بعثها عثمان للأمصار اختلافا في بعض الحروف، فكان في مصحف الكوفة "عملت" و في غيره " عملته"، و كذلك في مصحف الشام " و

[28] المستشرقون والقرآن لبهاء الدين حسين ص. 168 ط الأولى 1435هـ /2041م دار النفائس
[29] نفسه
[30] نفسه ص .174

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثاني عشر – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 215 - 229) 15 – كانون الثاني – 2022م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

بالزبر" و في غيره " و الزبر"، و في مصحف المدينة و مصحف الشام " فلا" و في غيرها " ولا"، و مثل ذلك. و كانت هذه المصاحف كلها خالية من النقط و الشكل، فكان على القارئ نفسه أن ينقط و يشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات، و مثل ذلك " يعلمه" كان يقرأها الواحد " يعلمه" و الآخر " نعلمه" أو " تعلمه" أو بعلمه" ... على حسب تأويله للآية، فكان حينئذ لكل قارئ اختيار في الحروف و كذلك اختيار في الشكل أيضا و فضلا عن ذلك فقد وقع اختيار بعض القراء، كما يتبين ذلك من كتب القراءات، على كثير مما كان في المصاحف التي منع عثمان استعمالها. ثم بعد ذلك ظهرت بالتدريج في كل مصر من الأمصار قراءة كانت مشهورة معهودة في ذلك البلد و تبعها الناس دون غيرها، فظهرت قراءة أهل الكوفة و قراءة أهل البصرة و قراءة أهل الشام و قراءة أهل حمص و قراءة أهل مكة و قراءة أهل المدينة، و هي اختيار القراء المشهورين من هذه الأمصار."[31]

و قد لخص الدكتور محمد حسين علي الصغير في كتابه تاريخ القرآن- فصل قراءات القرآن- المذاهب في ذلك بقوله:

هناك اتجاهان رئيسيان في نشوء القراءات القرآنية و مصادرها:
الأول: أن المصحف العثماني قد كتب مجردا عن الشكل و النقط و الإعجام، فبدا محتمل النطق بأحد الحروف المتشابهة في وجوه مختلفة، فنشأت نتيجة ذلك القراءات المتعددة للوصول إلى حقيقة التلفظ بتلك الألفاظ المكتوبة، ضبطا لقراءة القرآن على وجه الصحة و كما نزل..

الثاني: أن منشأ ذلك هو التوصل بالرواية المسندة القطعية المرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم في كيفية القراءة القرآنية إلى النطق بآيات القرآن الكريم كما نطقها، و كما نزلت وحيا من الله تعالى، بغض النظر عن كتابة المصحف الشريف...
و قد يقال بأن مصدر القراءات هو اللهجات، و لا علاقة لها إذن بصحة السند و موافقة كتابة المصحف...و لقد جهد المحققون منذ القرن الأول للهجرة حتى عهد ابن مجاهد في دراسة ظواهر القراءات القرآنية...فأرجعوا جزءا من الاختلاف في القراءة إلى مظهر من مظاهر اللهجات العربية المختلفة..ذلك مما يؤيد وجهة النظر في عامل اللهجات و الاستئناس به عاملا مساعدا في تعدد القراءات."..

ثم يخلص إلى القول بأن:" كلا من شكل المصحف و طريق الرواية إلى النبي صلى الله عليه و سلم و تعدد اللهجات العربية قضايا ذات أهمية متكافئة باعتبارها مصادر من مصادر القراءات، كلا لا يتجزأ، و إلا فهي –على الأقل- أسباب عريضة في نشوء القراءات و مناهج اختلافها" [32]

الشبهة الثالثة: القراءات الشاذة

يتوقف عند "القراءة الشاذة"، ويبدأ بمصطلح "شاذ"، ويقر بأنه مأخوذ من علم النحو، ثم يعطيه معنى غريبا، فالشاذ في نظره هو الموصوف بالنسبية، ولا يكتمل محتواه إلا بإضافة لاحقة عليه، ويقارن بين قولهم في اللغة "شاذ عن القياس" وقولهم في القراءات " شاذ عن قراءة الأمصار ، وهذا التحديد بعيد جدا عن صناعة العلم، غير مأخوذ من علم النحو ومن علوم العربية، فعلماء القراءات حددوا مفهوم الشاذ في صناعتهم، وهو المعنى الذي نقله في الصفحات المتقدمة واضطرب فيه حين قال: (الشاذ هو الآن كل ما كان خارج القراءات المشهورة

31 مقدمة كتاب المصاحف للمستشرق آثر جفري ص.7
[32] تاريخ القرآن للدكتور محمد حسين علي الصغير :ص.101

المعترف بها، والخلاف هو عما إذا كان هذا الشاذ يقتصر على القراءات السبعة أو العشرة أو يزيد عنها.[33] (قلت: الشاذ لا يقتصر على القراءات السبعة أو العشرة، بل هو كل قراءة وراء السبعة أو العشرة، يقول العلامة الحافظ ابن الجزري (ت 833هـ) : (كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن وجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونص عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد ابن عمار المهدوي، وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة ، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه،[34]

يتوقف برتزل عند مصادر القراءات الشاذة، ويستفيض في ذكرها في محاولة منه للتأكيد على وجودها ضمن مصادر محفوظة، فالشاذ –عنده- لا يعني القراءة التي أعدمت بمرة وزالت من الوجود ولكنها -في نظره- المبعدة عمليا من الاستعمال عند قراءة القرآن مع وجودها (وقد استمر وجودها في التفسير بلا حدود كموروث قابل للنقاش) كما يقول[35] .

القراءة التي حكم عليها بالبطلان وبالضعف، ومنعوها منع تحريم في الصلاة وفي خارج الصلاة، وتجاوزها التاريخ والعلم يتم نبشها من جديد بدعوى أنها موجودة، وليس كل ما هو موجود له صلاحية الوجود، وصلاحية الاعتبار بدعوى أنه موجود، وأعتقد أن برتزل ونولدكه وسيهر وغيرهم لا تهمهم القراءات الشاذة في حد ذاتها لأن لها صلة بالقرآن كيفما كان الحال لكن الذي يهمهم هو التشويش على المتفق عليه، و إعادة الاعتبار للمُلغَى والمتجاوز.

الشبهة الرابعة: حول رسم المصحف

يستهل برتزل كلامه في الفصل المتعلق ب (الرسم) وبالضبط في الفقرة الأولى التي عنونها ب "أخطاء النص العثماني" بأن المسلمين يعترفون منذ زمن طويل بأن نص القرآن الذي أصدرته اللجنة التي عينها عثمان لم يكن كاملا، معتمدا في ذلك على روايات واهية ، بعضها غير موثق والآخر غير صحيح البتة، أما الشواهد التي استند إليها في هذا التغيير فكلمات من القرآن تقرأ بصيغ مختلفة حسب طبيعة القراءة ، وكون ذلك راجع إلى اختلاف القراءات هو نوع من تبرير الخطإ حسب تحليله، يقول : (فالذين يتحملون مسؤولية نص القرآن، أي عثمان ولجنته، وبالطبع النبي نفسه، سيدفعون على أنفسهم الاتهام بوجود مآخذ لغوية في المحتوى بإلقاء مسؤوليتها على الكتاب، وعلى أي حال فإن هذا المسلك التبريري ساذج لأنه ينطلق من نظرة بشرية بسيطة لإنتاج نسخة القرآن الرسمية، بحيث يجعلنا نرد نشوء هذه الروايات على كل حال إلى وقت مبكر جدا .[36]

وأثار نقطة أخرى والتي تتعلق ب (القراءة) والمرموز إليها في الترتيب ب "ب-العلاقة مع الرسم" يثير أوطو برتزل شبهة خطيرة لا تقل خطورتها عن الشبه المثارة في الكتاب، وهي شبهة متوارثة ينص فيها على أن القرآن الذي هو كلام شفاهي مسموع من الوحي يخالف القرآن المكتوب الذي هو في النص العثماني، وهي محاولة استشراقية يوهم

[33] المصدر السابق 589/3
[33] النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري9/1 تحقيق علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية، بيروت.10
[35] تاريخ القرآن لنولدكه 655/3
[36] المصدر السابق 445/3

بها أن للمسلمين نوعين من القرآن نوع مسموع من الوحي، تناقلت الأفواه معرفته وحفظه، وقرآن أجمعوا عليه ، كُتب في وقت متأخر من الزمان يُدعى " نص عثمان"، ثم يعود ليرتب على كل ذلك أن القرآن المسموع لم يتحول إلى مركز الثقل في النص القرآني بل كانت الغلبة للنص المكتوب، ثم يستشهد بأن عمل زيد بن ثابت اعتمد على الأصول المكتوبة في جمع القرآن، هكذا تحول القرآن من النقل الشفوي إلى النص المكتوب ، يحاول برتزل أن يدعم أطروحته هاته بالنسخ المكتوبة التي أرسلها عثمان بن عفان إلى الأمصار لتنشأ منها قراءات مختلفة لتعود الدائرة إلى النقل الشفوي لكن بصورة أخرى[37]

من الشبه كذلك:

من أقوى الشبهات التي أثارها المستشرقون حول القرآت القرءانية تلك التي تنسب لابن مسعود في إنكاره قرآنية المعوذتين، وتكمن قوة هذه الشبهة في أنها وردت بأسانيد صححها بعض رجال الحديث مثل ابن حجر، لكن مع هذه القوة هناك ردود هي أقوى من حيث السند، لو أنصف هؤلاء الروايات الصحيحة الواردة في هذا السياق وتحروا الطرق العلمية ـ كما يدعون ـ في الوصول إلى الطعن في القرآن من خلالها لما وجدوا لذلك سبيلا، من تلك الردود ما نجده عند الشيخ عبد العظيم الزرقاني في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن حيث ذكر في هذا السياق أمورا علمية وحججا قوية من أجل توهين هذه الشبهة :

((أولها: أن عاصما وهو أحد القراء السبعة قرأ القرآن كله وفيه المعوذتان بأسانيد صحيحة بعضها يرجع إلى ابن مسعود نفسه. ذلك أن عاصما قرأ على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب وقرأ على أبي مريم زر بن حبيش الأسدي وعلى سعيد بن عياش الشيباني.

وقرأ هؤلاء على ابن مسعود نفسه وقرأ ابن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانيها: أن حمزة وهو من القراء السبعة أيضا قرأ القرآن كله بأسانيده الصحيحة وفيه المعوذتان عن ابن مسعود نفسه. ذلك أن حمزة قرأ على الأعمش أبي محمد سليمان بن مهران وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى على علقمة الأسود وعبيد بن نضلة الخزاعي وزر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي. وهم قرؤوا على ابن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم

ولحمزة سند آخر بهذه القراءة إلى ابن مسعود أيضا. ذلك أنه قرأ على أبي إسحاق السبيعي وعلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعلى الإمام جعفر الصادق. وهؤلاء قرؤوا على علقمة بن قيس وعلى زر بن حبيش وعلى زيد بن وهب وعلى مسروق. وهم قرؤوا على المنهال وغيره وهم على ابن مسعود وأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وهما على النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثها: أن الكسائي قرأ القرآن وفيه المعوذتان بسنده إلى ابن مسعود أيضا. ذلك أنه قرأ على حمزة الذي انتهى بين يديك سنده إلى ابن مسعود من طريقين. رابعها: أن خلفا يقرأ المعوذتين في ضمن القرآن الكريم بسنده إلى ابن مسعود أيضا. وذلك أنه قرأ على سليم وهو على حمزة.

وهذه القراءات كلها التي رويت بأصح الأسانيد وبإجماع الأمة فيها المعوذتان والفاتحة على اعتبار أن هذه السور الثلاث أجزاء من القرآن وداخلة فيه.

[37] المصدر السابق 3/558-559

فالقول ببقاء ابن مسعود على إنكار قرآنية هذه السورة محض افتراء عليه.

وكل ما في الأمر أنه لم يكتب الفاتحة في مصحفه اتكالا على شهرتها وعدم الخوف عليها من النسيان حتى تكتب. وكذلك القول في المعوذتين. وقيل إنه لم يكن يعلم أول الأمر أن المعوذتين من القرآن بل كان يفهم أنهما رقية يعوذ بهما الرسول الحسن والحسين.

ومن هنا جاءت روايات إنكاره أنهما من القرآن. ثم علم بعد ذلك قرآنيتهما. ومن هنا جاءت الروايات عنه بقرآنيتهما. كما سقناه بين يديك عن أربعة من القراء السبعة بأسانيد هي من أصح الأسانيد المؤيدة بما تواتر واستفاض وبما أجمعت الأمة عليه من قرآنية الفاتحة والمعوذتين منذ عهد الخلافة الراشدة إلى يوم الناس هذا.))[38]

ومن شبههم أنهم:

جعلوا تعدد القراءات دليلا عندهم على عدم تواتر القرآن، وذلك أن اختلاف القراء في إ ثبات البسملة عند بعضهم وإهمالها عند بعضهم واختلاف المسلمين في ذلك يقتضي تكفير بعضهم بعضا لإدخال كلام في القرآن ليس منه بالنسبة للفريق الأول أو لإخراج ما هو من صميمه بالنسبة للفريق الثاني ووظفوا هذا الخلاف في القراءات للوصول إلى النيل من تواتر القرآن وصحة نقله، وأجاب الشيخ عبد الغظيم الزرقاني عن هذه الشبهة جوابا كافيا شافيا انطلاقا من قاعدة: "لا إنكار في محل الخلاف" وانطلاقا مما قرره الإمام ابن العربي المعافري رحمه الله من أن اختلاف المسلمين في قرآنية البسملة دليل قاطع على عدم قرآنيتها فقال الزرقاني رحمه الله:

((والجواب: أن قرآنية البسملة في أوائل السور اجتهادية مختلف فيها. وكل ما كان من هذا القبيل لا يكفر منكره ولا مثبته شأن كل أمر اجتهادي. إنما يكفر من أنكر متواترا معلوما من الدين بالضرورة. وقرآنية البسملة في أوائل السور ليست متواترة معلومة من الدين بالضرورة.

أما منكر البسملة التي في قصة كتاب سليمان من سورة النمل. فهو كافر قطعا لأن قرآنيتها متواترة معلومة من الدين بالضرورة ولا خلاف بين المسلمين في قرآنيتها حتى يكفر بعضهم بعضها كما يزعم أولئك المعترضون.))[39]

خاتمة:

بعد هذه الجولة الخفيفة حول القراءات القرآنية وشبهات المستشرقين ومن تابعهم في كتاب الله تعالى، نجد أن أبحاث المستشرقين لم تتسم بالعمق العلمي، بل غلبت عليها السطحية والجهل بأصول البحث في العلوم المتعلقة بالقراءات، وظهر فيها أثر خلفياتهم العدائية للإسلام.

كما يصور المستشرقون بعض الآراء الشاذة، أو الضعيفة من حيث السند المثل الأعلى للإسلام، وينسبونها إلى هذا الدين العظيم.

إن المستشرقين الذين جاءوا بعد جولدسيهر جعلوه عمدتهم ومرجعهم في إثارة القلاقل والشبهات.

[38] مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني ج. 1 ص. 471 . 473 ط. 1408 هـ/1988م دار الفكر بيروت
[39] نفسه ص . 474

لائحة المصادر والمراجع

القاموس المحيط للفيروز أبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

المعجم الوسيط للدكتور إبراهيم أنيس أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، وآخرين، الناشر: دار الدعوة.

لسان العرب للجمال الدين ابن منظور، الطبعة: الثالثة -1414 هـ الناشر: دار صادر – بيروت.

منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري، الطبعة: الأولى 1420هـ -1999م الناشر: دار الكتب العلمية.

البرهان في علوم القرآن للزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

إتحاف فضلاء البشر للدمياطي، المحقق: أنس مهرة، الطبعة: الثالثة، 2006م - 1427هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان.

البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي، المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

منجد المقرئين لابن الجزري

صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفري تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط 1. 1422هـ دار طوق النجاة، بيروت.

صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، السيد محمد الشاهد، السنة السادسة، 1994م.

الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مازن بن صلاح مطبقاني، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1995.

الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد الأمين المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997، ص16.

نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.

الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه) رودي بارت. ترجمة مصطفى ماهر (القاهرة: دار الكتاب العربي).

الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة السابعة، 2005،

أسماء المستشرقين: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت 2004،

صورة العالم الإسلامي في أوربا: مكسيم رودنسون، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، 1970.

جهود المستشرقين في التراث العربي، محمد عوني عبد الرؤوف، المجلس الأعلي للثقافة 2004، الاستشراق والمستشرقون _السباعي_، الطبعة الرابعة 2013 دار السلام مصر القاهرة

كتاب المصاحف لابن أبي داود – التقديم-، تحقيق المستشرق الأمريكي آرثر جيفري، الطبعة الأولى 1936، المطبعة الرحمانية _ مصر.

المستشرقون والقرآن لبهاء الدين حسين ط الأولى 1435هـ /2041م دار النفائس

تاريخ القرآن للدكتور محمد حسين علي الصغير، الطبعة:1، تاريخ النشر1420هـ، دار المؤرخ العربي.

النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

تاريخ القرآن لنولدكه ، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر

مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني ط. 1408 هـ/1988م دار الفكر بيروت.